(٣)

سورية في التاريخ الحديث والمعاصر

بعد معركة مرج دابق شمالى حلب فى عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وهزيمة القوات المملوكية بقيادة السلطان قانصوه الغورى تمكن العثمانيون بقيادة السلطان سليم بن بايزيد من دخول حلب ودمشق وحماة وغيرها من المدن السورية[١] ، ومما أعان العثمانيين على هذا الانتصار موقف الخيانة الذى وقفه بعض أمراء المماليك من سلطانهم ، وتفوق المدفعية العثمانية ، هذا بالاضافة الى موقف معظم العصبيات السورية التى آثرت فى نهاية المطاف التخلى عن المماليك والانحياز للعثمانيين والترحيب بهم ، وقد قدر السلطان سليم هذا الموقف الودى من هؤلاء فأقرهم على اقطاعاتهم وعول على استمالتهم كأدوات للحكم العثمانى[٢] .

وقد اهتم السلطان سليم بتنظيم ادارة هذه البلاد ، ولما كان الجزء الشمالى من سورية ومركزه حلب يعد مركزا استراتيجيا لحماية الممرات الى الأناضول غربى طرطوس فقد وضعت ولاية حلب تحت سيطرة وال عثمانى . أما الجزء الجنوبى من سورية فلم يكن ذا أهمية استراتيجية بالنسبة للعثمانيين ومن هنا فقد عين السلطان سليم عليه أحد المماليك الذين خانوا السلطان الغورى وهو جان بردى الغزالى . ولكن هذه الأوضاع لم تستمر طويلا فسرعان ما حدث تقسيم ادارى جديد لسورية — خصوصا بعد ثورة جان بردى الغزالى على العثمانيين ، واعلان نفسه سلطانا فى جامع بنى أمية — فاشتملت ولاية دمشق على عشرة صناجق ،

---

(١) لتفاصيل ذلك انظر : محمد بن أحمد بن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٣ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١٢هـ ص ٢٣٤ — ٢٣٥ .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ص ١٠٩ .

كما اشتملت ولاية حلب على تسعة ، أما اقليم طرابلس فقد اشتمل على خمسة صناجق[٣] .

واستمر الوضع الادارى فى سورية على هذا المنوال ، وليس فيه ما يستوقف النظر سوى انتشار الفتن والحروب ، وسوء الادارة ، وزيادة الفوضى ، كما كان الولاة العثمانيون يتعاقبون على هذا القطر لدرجة أنه تعاقب على دمشق فى قرن واحد ، واحد وثمانون واليا ، وعلى حلب تسعة واربعون ، ونتيجة لذلك كان الوالى لا يتمكن من الاصلاح وان أراده . وكان جل همه هو جمع المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة ليتخذه سبيلا لارضاء أصحاب النفوذ فى الآستانة ، وكان الولاة يبتاعون الولاية ابتياعا ، والمزايد الاكبر هو الذى ينال مطلبه . وكان خروج الجنود العثمانيين عن حدودهم — فى تلك الفترة — واعتداءاتهم المتكررة على الناس ، وبطشهم بهم دون رادع أو وازع من أكبر العوامل فى تعب الاهالى ومشقاتهم[٤] .

أما عن أوضاع سورية الخارجية فبعد أن منح السلطان العثمانى سليمان القانونى الحكومة الفرنسية ورعاياها امتيازات فى منطقة الشرق العربى التابعة لسلطانه ، انتهزت فرنسا هذه الفرصة لنشر نفوذها فى بلاد الشام ، وأخذت تركز على مصالحها الحيوية فى تلك المنطقة حتى أصبح لها رعايا عديدون ، وأصبحت لها مصالح واضحة فيها .

وعندما جاءت الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م اتجهت أنظار بونابرت الى بلاد الشام ، ولما كان بونابرت حريصا على اقامة علاقات ودية مع الدولة العثمانية فقد حاول استمالة بعض أصحاب النفوذ فى بلاد الشام فكتب الى عبد الله باشا والى دمشق ، وكتب الى أحمد باشا الجزار والى عكا برسائل يؤكد فيها انه لم يكن يوما عدوا

---

(٣) عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ — ١٩٢٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ١٥٤ .

(٤) عمر أبو النصر : سورية ولبنان حتى أوائل القرن التاسع عشر بيروت ، ١٩٢٧ ص ٨٦ — ٨٧ .

للمسلمين ونفى الشائعات التى تقول انه يريد هدم الدين المحمدى[٥] .

غير ان كافة هذه المساعى كان نصيبها الفشل وعلى الخصوص بعد هزيمة اسطول بونابرت فى موقعة ابى قير البحرية ، واعلان الدولة العثمانية الجهاد الدينى ضد فرنسا .

ونتيجة لذلك ، وخشية من مهاجمة العثمانيين وحلفائهم للقوات الفرنسية فى مصر ، قرر بونابرت مبادرة اعدائه بالهجوم والزحف على سورية ، فبدأ حملته فى ٦ فبراير ١٧٩٩م وتقدم الى العريش ثم الى غزة والرملة ويافا ، ولكن قواته تكسرت أمام أسوار عكا ، وعاد الى مصر فى ١٥ يونيو ١٧٩٩ بعد أن تكبدت قواته خسائر فادحة .

وبعد خروج الحملة الفرنسية من مصر ، وتولية محمد على زمام أمورها كانت بلاد الشام مطمح انظار محمد على[٦] منذ حروبه فى الجزيرة العربية وقد طلب من السلطان العثمانى اضافة منصب ايالة الشام الى منصب والى مصر مبررا ذلك بامكانية جمع الجنود من هناك ، وتكوين الجيوش لمحاربة اتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن طلبه كان مصيره الاهمال .

ولما تامت حرب المورة كرر محمد على طلبه الى السلطان بأن يضاف اليه حكم سورية بجانب حكمه لمصر ، تعويضا عما تكبده الجيش المصرى من خسائر فى هذه الحرب ، ونظرا لرفض السلطان لهذا الطلب للمرة الثانية حاول محمد على ضم هذه البلاد بالقوة لاستغلال مواردها من القمح والخشب والنحاس التى تفتقر اليها مصر ، وحتى تكون حاجزا

---

(٥) محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٢م ص ١٩٢ .

(٦) اسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية — بيان بوثائق الشام — المجلد الأول ١٢١٥ — ١٢٤٧هـ / ١٨١٠ — ١٨٣٢م ، بيروت ١٩٤٠ ص ١٢٣ .

حصينا بين مصر ، والدولة العثمانية اذا ما فكرت الأخيرة فى محاربة محمد على[٧] .

وعن التوقيت الذى اختاره محمد على لمحاربة السلطان ، ومحاولته اقتناص بلاد الشام منه فيمكن القول انه اختار الوقت المناسب لذلك . ففى الوقت الذى كانت فيه الدول الأوربية منهمكة فى مسائلها الداخلية ، وتتنازع كل منها السيادة على أوربا بعد تصفية الامبراطورية النابليونية .

وفى الوقت الذى أصبحت فيه الدولة العثمانية تمثل رجل أوربا المريض المنهوك القوى نتيجة للثورات الداخلية التى لاحقتها فى كل جانب ولحروبها المتعددة التى خرجت منها منهوكة القوى .

وفى الوقت الذى قامت فيه الدولة العثمانية بتصفية الانكشارية الذين كانوا بمثابة العمود الفقرى للجيش العثمانى انتهز محمد على حاكم مصر كل هذه الفرص لاظهار قوته أمام السلطان العثمانى محمود الثانى وبخاصة ان جيشه كان فى حالة طيبة ، ولأنه كان قد اجتذب اليه الأمير بشير الشهابى كبير أمراء لبنان فى ذلك الوقت[٨] .

ونتيجة لذلك استطاع ابراهيم باشا فتح بلاد الشام بسهولة على أثر استسلام حامية عكا فى مارس ١٨٣٢ فتقدم بعدها فى مراحل سريعة فاحتل دمشق ، وأنزل فى الجيش التركى هزيمة كبرى بالقرب من حمص ثم أعقبها بهزيمة ثانية فى جوار حلب . وفى نهاية شهر يوليو من العام نفسه تم له الاستيلاء على بلاد الشام بأسرها . وقد ذعر السلطان من هذه التطورات وارسل الرسل الى محمد على لفتح باب المفاوضات معه ، وتوقف ابراهيم عن التقدم بأمر ابيه انتظارا لنتيجة المفاوضات ثم انقطعت المفاوضات بعد خمسة أشهر ، ووجد ابراهيم نفسه وجها لوجه أمام القوات التركية فنازلها فى معركة حاسمة وتمكن من الحاق الهزيمة بها ، وفتحت أمامه أبواب الآستانة الا أنه اضطر الى الوقوف مرة ثانية بناء

---

(٧) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٥١ ص ٢٢٤ .
(٨) نفسه ص ٢٤٨ .

على أوامر من أبيه فقد تدخلت الدول الكبرى ، وراحت تضغط على محمد على حتى عقد اتفاق فى ربيع عام ١٨٣٣م اعترف فيه السلطان بمحمد على حاكما على بلاد الشام اعترافا رسميا ، وخلال ذلك برزت فكرة اقامة امبراطورية عربية تضم جميع البلاد التى تتحدث بالعربية .

وخلال السنوات السبع التى أعقبت ذلك حكم ابراهيم باشا هذه المنطقة باسم أبيه الى أن أرغم تحت ضغط الدول الأوربية من جهة وتذمر الأهالى من جهة ثانية على اخلائها ، وكان ذلك فى عام ١٨٤٠ [٩] وفيما يلى نعرض لأسباب تذمر أهالى الشام من حكم محمد على ، وضغوط الدول الأوربية لاخراجه من بلاد الشام .

١ — نزع سلاح الأهالى :

كانت أوامر محمد على بتجريد أهالى الشام من أسلحتهم بمثابة صفعة قوية لهم نظرا لتأصل غريزة جمع السلاح فى نفوسهم ، وللظروف الطبيعية التى يعيشونها والتى تحتم عليهم حملهم للسلاح ومن هنا وجد هذا الأمر معارضة شديدة وصلت الى حد الاصطدام .

٢ — تطبيق نظام التجنيد الاجبارى :

كانت محاولات تطبيق نظام التجنيد الاجبارى على أهالى الشام على الرغم من نفورهم منه أكبر الأثر فى تذمرهم من الحكم المصرى لبلادهم ، والقيام بالثورات ضده والتقليل من أنصار محمد على فى بلاد الشام [١٠] .

٣ — الضرائب والاحتكار والسخرة :

على الرغم من اعلان ابراهيم باشا عن عزمه على رفع المعاناة عن الأهالى ، ووضعه لنظام جديد للضرائب خفف فيه عن كواهل الناس الكثير منها مما جعلهم يرتاحون لحكمه فى أول الأمر فان حاجة والده الى الأموال لمواصلة الحرب ضد الدولة العثمانية جعلته يبحث عن منابع أخرى

---

(٩) جورج أنطونيوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابى دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ص ١٣ — ١٤ .

(١٠) محمد كرد على : خطط الشام ج ٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٣٩٠هـ / ١٩٧٩م ص ٦٠ .

لسد متطلباته ومن هنا فرض ضرائب جديدة على الأهالى زيادة على ما اعتادوا دفعه ، ومن ذلك انه امر بفرض ضرائب على كل فدان من الأرض دون النظر الى ما تستخرجه هذه الأرض من انتاج ، مما جعل بعض أصحاب الأراضى يضطرون الى تركها والرحيل عنها ، ويضاف الى ذلك انه فرض ضريبة سنوية على الأشجار ، كما فرض ضريبة (الفردة)[١١] التى لم تكن معروفة لدى أهالى الشام فى ذلك الوقت فدفعها الذكور من السكان عن كل فرد من سن الرابعة عشرة وحتى سن الستين وقام بتحصيل الجزية عن جميع الأفراد دون تمييز بين الجنسية او الديانة[١٣] مما جعل المسلمين ينفرون من هذه الطريقة .

يضاف الى ذلك قيامه باحتكار أصناف الحرير للحكومة مما الحق الضرر بمنتجيه ، ومنع التنافس بين التجار على شرائه ، وحرم المنتجين مكاسبهم منه[١٣] هذا الى جانب استخدامه للشوام فى التنقيب عن المعادن[١٤] وتسخيرهم فى القيام على خدمة مشاريع الحكومة .

٤ — انشاء الحجر الصحى :

نظرا لتفشى مرض الطاعون فى بلاد الشام خلال فترة تواجد ابراهيم باشا رأى محمد على ضرورة انشاء حجر صحى حول المنازل التى ظهر فيها هذا المرض ، ونظرا لما اشيع ان الذين يتوفون بهذا المرض يدفنون دون غسل ودون ان يصلى عليهم بل يتم احراقهم بالجير منعا لانتشار المرض والحد من مفعوله[١٥] فقد استاء الأهالى من ذلك ، وطالبوا بالغاء هذا

---

(١١) أطلق عليها أحيانا ضريبة الرأس .
(١٢) حنا ابى راشد : جبل الدروز ، القاهرة ، مكتبة زيدان الطبعة الأولى ١٩٢٥م ص ٤٧ .
(١٣) محمد كرد على : المرجع السابق جـ ٣ ص ٦٣ ، والرافعى : المرجع السابق ص ٣٠١ .
(١٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، ترجمة الكتاب العربى الوارد ضمن تقرير بحريرا رقم ١٥٤ — ٣ .
(١٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ وثيقة رقم ١٨ — ٣ فى ٧ محرم ١٢٥٦هـ .

المحجر ، وشجعهم على ذلك علماء الشام الذين عدوا اقامة مثل هذا المحجر لا يتفق مع تعاليم الشرع الشريف[١٦] .

وعلى الرغم من استياء الأهالى من هذا المحجر ، وبالرغم من أنه لم يأت بالفائدة المرجوة منه[١٧] فقد أصر محمد على على بقائه ، واستمر العمل فيه حتى هاجمه الثوار ، واضطرت الحكومة الى ايقاف تشغيله[١٨] .

كل هذه الأمور زادت من الاستياء العام لدى الشوام وجعلتهم يعملون على التخلص من حكم محمد على فى بلادهم ، ويتمنون عودة الحكم العثمانى[١٩] .

والى جانب هذه العوامل التى كانت من الأسباب الرئيسية فى فشل حكم محمد على فى بلاد الشام هناك عاملان رئيسيان آخران هما :

١ — معارضة بريطانيا التى خشيت من نفوذ محمد على فى الجزيرة العربية والبحر الأحمر وبلاد الشام والذى سيكسبه سيطرة قوية فى تلك المناطق الواقعة على أهم الطرق التجارية فى العالم ، مما يجعل الحصول على الاذن اللازم لمرور التجارة الأوربية منوطا بارادته بعد أن كان الحصول عليه من دولة ضعيفة كالدولة العثمانية أمرا سهلا .

٢ — غياب الوعى القومى العربى ، خاصة وأن الفكرة الوطنية كانت شبه منعدمة فى ذلك الحين[٢٠] .

وعلى كل حال فانه فى أعقاب الحكم المصرى لسورية ، وعودة الحكم التركى اليها تعرضت بلاد الشام لدسائس القوى المتصارعة وانتشرت

---

(١٦) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، صورة الوثيقة العربية رقم ١٠٠ — ٣ بتاريخ ١٤ من ربيع الأول ١٢٥٦هـ .
(١٧) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، ترجمة الوثيقة رقم ١٤٣ — ٣ فى ٣ ربيع الآخر ١٢٥٦هـ .
(١٨) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٣ — ٦ .
(١٩) محمد كرد على : المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٨ .
(٢٠) انطونيوس : المرجع السابق ص ٢١ — ٢٤ .

الفوضى ، ووقعت الاضطرابات بين المسلمين والنصارى والدروز مما اضطر الدولة العثمانية الى اصدار المراسيم التى تقضى باصلاح نظام الادارة فى بلاد الشام ، كما ادى الى تنافس كل من انجلترا وفرنسا على التدخل فى شئون هذه البلاد وتقوية نفوذهما فيها . وخلال ذلك بدات حركات التحرير القومى فى الظهور ، وبدات الحركات الفكرية فى التطور حتى أينعت فى النهاية بعد خلع السلطان عبد الحميد ، واعلان دستور ١٩٠٨ ، وسرعان ما شعر العرب بنوايا الاتحاديين تجاههم فبداوا فى تنظيم الجمعيات لاثبات حقوقهم والمحافظة على لغتهم وقوميتهم[٢١] وهذه الجمعيات :

١ — رابطة الوطن العربى التى انشئت فى باريس فى عام ١٩٠٤ بهدف حث العرب القاطنين فى تركيا على الاستقلال .

٢ — المنتدى العربى الذى تالف من مجموعة من الموظفين والطلاب فى عام ١٩٠٩ وكان ملتقى الوافدين من العرب الى القسطنطينية ، وقد سكت الاتحاديون عن وجوده لأن أهدافه المعروفة لم تكن سياسية ولكنه فى الواقع كان يتمتع بنفوذ سياسى كبير حتى اعترف فى وقت من الأوقات بلجنته الادارية كوسيط بين العرب والاتحاديين فى المفاوضات التى جرت لتسوية الخلافات بين الطرفين[٢٢] .

٣ — الجمعية القحطانية وهى جمعية سرية تاسست فى الآستانة فى عام ١٩٠٩م ، وكانت تهدف الى تكوين مملكة عربية من جميع المقاطعات العربية ، وقد بذل أعضاؤها الجهود لاستمالة العرب فى الجيش التركى اليهم ، ولما انكشف أمرهم انفك شمل الجمعية .

٤ — جمعية العربية الفتاة وقد تاسست فى باريس عام ١٩١١ وكان مؤسسوها سبعة من العرب ، وكلهم مسلمون ، وهدفها تخليص العرب من الحكم التركى واستقلال البلاد العربية .

---

(٢١) المقتطف : المجلد الثالث والتسعون ، يونيو / ديسمبر ١٩٣٨ ص ٤٢١ — ٤٢٢ .

(٢٢) انطونيوس : المرجع السابق ص ١١٦ — ١١٧ .

٥ — جمعية العهد وقد اسسها عزيز المصرى فى عام ١٩١٣ واقتصرت عضويتها على الطلاب العرب ، وكانت ترمى الى الاستقلال الداخلى للبلاد العربية[٢٣] .

وخلال هذه الفترة دخلت الدولة العثمانية غمار الحرب العالمية الأولى الى جانب دول الوسط المكونة من المانيا والنمسا والمجر ضد معسكر دول الحلفاء المكون من بريطانيا وفرنسا والروسيا وايطاليا[٢٤] وبدات بريطانيا فى سعيها لجذب العرب الى صفها حيث اصبح موقفهم أمرا بالغ الأهمية بالنسبة لها خصوصا وان خطر الدعوة الى الجهاد كان من اشد الاخطار التى تخشاها بريطانيا . ومن هنا حاول الانجليز تبديد مخاوف المسلمين عن طريق ضم العرب بجانبهم ضد العثمانيين فى مقابل الاعتراف بالأمانى السياسية لهم ، والترحيب باقامة خلافة عربية[٢٥] .

هذا وفى الوقت الذى كان فيه الحسين بن على شريف مكة لا يزال يفاوض السياسى الانجليزى مكماهون ويستعد لاعلان تحالفه مع بريطانيا والقيام بثورته ضد الترك كانت بريطانيا تعقد صفقة جديدة مع فرنسا لتحديد مناطق النفوذ بينهما فى البلاد العربية ، فعينت الحكومة البريطانية السير مارك سايكس Sykes كما عينت الحكومة الفرنسية جورج بيكو Picot قنصل فرنسا فى بيروت مندوبين عنهما كى يقوما بمباحثات غايتها الاتفاق على اقتسام البلدان العربية فيما بينهما ، وقد توصل المندوبان الى الاتفاق المعروف باسم أتفاقية سايكس بيكو وصادقت عليه حكومتاهما فى مايو ١٩١٦ ، وقد احتفظت فيه فرنسا لنفسها بالجزء الشمالى من سورية ، وبانشاء حكم مباشر لها فى الساحل

---

(٢٣) لتفاصيل ذلك انظر : امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ، القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٩٣٥م ص ٩ .

(٢٤) عن أسباب ذلك انظر : عمر الديراوى : الحرب العالمية الأولى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ ص ٢٨ .

(٢٥) انطونيوس : المرجع السابق ص ١٨١ .

السورى[٢٦] هذا فى الوقت الذى كان فيه المجندون العرب فى الجيش العثمانى يلتحقون بقوات الثورة ، ويلجأون الى الخطوط البريطانية[٢٧] .

وبعد أن وضعت الحكومة البريطانية خطة الهجوم النهائى لطرد العثمانيين من سورية رشح اللنبى Allenby لقيادة هذه القوات[٢٨] كما عهد الى القوات العربية بمهمة قطع طرق المواصلات بين دمشق وجنوب سورية لحماية جناح القوات البريطانية الأيمن ومنع القوات التركية من الحصول على الامدادات .

وفى مساء ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ كانت القوات العربية قد أحاطت بدمشق ، وأقيمت حكومة عربية هناك برئاسة رضا باشا الركابى كأول تحقيق عملى لليقظة العربية الحديثة[٢٩] ، ورفرف العلم العربى على قاعدة بلدية دمشق ، واستمرت القوات العربية فى زحفها حتى دخلت حمص وحماه وحلب ، ووصلت الى المناطق الساحلية فى صيدا وبيروت وطرابلس ، وبذلك انتهى الحكم التركى فى سورية ، وعم الفرح دمشق ، وخرج أهلها للترحيب بالقوات العربية والبريطانية ، واظهروا لها حماسا عظيما ، ولكن شبح اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م كان يخيم على هذه الآمال وخاصة بعد أن اذاعت الحكومة الروسية نصوص الاتفاقية .

وبعد أن دخل فيصل دمشق صدم صدمة قوية عندما سمع الجنرال اللنبى يصارحه بتعهدات بلاده لفرنسا والاعتراف بالحماية الفرنسية على الساحل السورى ولبنان ، وانه يجب عليه قبول هذا الوضع لحين عقد الصلح[٣٠] وعندما احتج فيصل على هذه الاجراءات أصر اللنبى على

---

(٢٦) خيرية قاسمية : الحكومة العربية فى دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ ص ٣٧ .

(27) Antoius, G. The Arab Awakening 1938, p. 229 - 230 .

(28) Wavell : Allenby, a Study in Greatness 1940, pp. 184 - 187 .

(٢٩) قاسمية : المرجع السابق ص ٣٣ .

(٣٠) محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ٣٧٩ — ٣٨٤ .

قبولها حتى تتم التسوية النهائية بين الدول[٣١] . كما ذهب الحلفاء الى ما هو ابعد من ذلك اذ قرروا تقسيم سورية الى ثلاث مناطق مختلفة وهى المنطقة الأولى وتشمل سورية الداخلية وشرق الأردن برئاسة الأمير فيصل والثانية وتشمل الساحل السورى المتمثل فى صيدا ، وبيروت ، وطرابلس ، واللاذقية ، وقضائى انطاكية واسكندرونة وتكون تحت الحكم الفرنسى ، والمنطقة الثالثة وتشمل فلسطين وتكون تحت الحكم البريطانى[٣٢] .

وعلى الرغم من أن هذه المناطق مرتبطة بوشائج الوحدة من وجود عديدة أهمها النواحى الجغرافية والاقتصادية والثقافية والتاريخية فقد ضرب بهذه الاعتبارات عرض الحائط ، ولم يلتفت مجلس الحلفاء الأعلى الا الى اطماع أعضائه فوجد أن الوسيلة المثلى لارضاء جشع كل من بريطانيا وفرنسا هى تقسيم سورية فيما بينهما[٣٣] ونتيجة لذلك اجتاحت بلاد الشام موجة من الارتياب فى نوايا بريطانيا وفرنسا .

وعندما بدأت اجتماعات مؤتمر الصلح فى باريس فى ١٨ يناير ١٩١٩ لاقى الأمير فيصل صعوبات متعددة من قبل الحكومة الفرنسية ، وبعد أن عرضت القضية العربية على المؤتمر تقدم الأمير فيصل بمذكرة مؤرخة فى ٢٩ يناير ١٩١٩ بسط فيها حق العرب فى الاستقلال والوحدة واقترح أن يقوم المؤتمر بتعيين لجنة تحقيق تزور سورية وفلسطين حيث تقوم ببحث شامل للتأكد من رغبات السكان ، وحقهم فى تقرير مصيرهم . وقد أيد الرئيس الأمريكى ويلسون هذا الاقتراح[٣٤] كما أولته بريطانيا آذانا صاغية ، ومع ذلك فقد عارضته فرنسا ، كما عارضت بشدة اقامة سيادة عربية فى بلاد الشام .

وعلى الرغم من مطالبة الرئيس ويلسون ايفاد لجنة دولية للتعرف على رغبات الأهالى فى الشام فقد رفضت بريطانيا وفرنسا الاشتراك فى

---

(٣١) قاسمية : المرجع السابق ص ٥٠٢ وانظر أيضا :
Wavell : op. cit., p. 242 .

(٣٢) اسماعيل ياغى ، المرجع السابق .

(٣٣) انطونيوس : المرجع السابق ص ٣٨٧ .

(٣٤) نفسه ص ٣١٦ .

هذه اللجنة ونتيجة لذلك أرسلت اللجنة الأمريكية المعروفة باسم لجنة كنج — كرين King - Crane [٣٥] وعلى هذا الأساس عاد الأمير فيصل الى الشام فى أواخر أبريل ١٩١٩ معتقدا أن هذه اللجنة ستكون بداية لتحقيق الأمانى العربية فى الاستقلال .

وقد قضت اللجنة ٤٢ يوما فى انحاء متفرقة من المناطق السورية الثلاث ، وكانت حريصة خلالها على الاطلاع على جميع وجهات النظر باجراء مقابلات مع وفود تمثل فئات بارزة من جمعيات ونقابات وغيرها ، وقدم لها عرائض متعددة تشرح آراء ورغبات الأهالى وتضمن ٨٠٪ منها المطالبة بسورية الموحدة[٣٦] .

وبعد أن انتهت اللجنة من مهمتها قدمت توصياتها التى تتلخص فيما يلى :

١ — رفض الأهالى للانتداب الفرنسى ورغبتهم فى الوحدة والاستقلال .

أوصت اللجنة بوحدة سورية تحت حكم دستورى برئاسة فيصل ابن الحسين على أن يعهد لأمريكا أو بريطانيا بالانتداب عليها .

٣ — حذرت اللجنة من قيام دولة يهودية ، واقترحت الحد من هجرة اليهود الى فلسطين .

وعلى الرغم من أهمية تقرير لجنة التحقيق الأمريكية ، فقد اختفى فى ملفات وزارة الخارجية الأمريكية ، ولم يستخدمه المندوبون الامريكيون فى المؤتمر بباريس ، وعلى الخصوص أن أمريكا احست انه سيهدد علاقتها بحلفائها[٣٧] كما أن فرنسا بدأت تتهم بريطانيا علانية بالتخلى عن التزاماتها فى تطبيق اتفاق سايكس بيكو .

---

(٣٥) كانت هذه اللجنة مؤلفة من عضوين هما الدكتور هنرى كنج والمستر تشارلز كراين وثلاثة مستشارين ، للتفاصيل انظر منسى : المرجع السابق ص ٤٢١ ، وانطونيوس المرجع السابق ص ٣٢٥ .

(٣٦) قاسمية : المرجع السابق ص ١١٤ — ١١٩ .

(٣٧) قاسمية : المرجع السابق ص ١٢١ .

وفى تلك الفترة زار الأمير فيصل اوربا للمطالبة بتنفيذ وعود الحلفاء لبلاده فوصل الى لندن واعرب عن احتجاجه لدى الحكومة البريطانية للتنصل من عهودها للعرب ، كما سافر الى باريس وهناك قدم بعض التنازلات للحكومة الفرنسية مما ادى الى ازدياد حدة التوتر بين اهالى الشام ، واخذت الأحداث تتتابع فاجتمع المؤتمر السورى العام الذى يمثل الأمة السورية بأجمعها وقرر فى ١٦ جمادى الثانية من عام ١٣٣٨هـ الموافق ٧ مارس ١٩٢٠م اعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية واختيار الأمير فيصل بن الحسين ملكا دستوريا عليها[٣٨] وتأليف أول وزارة دستورية برئاسة رضا الركابى . وقد اثار هذا القرار كل من فرنسا وبريطانيا ، وبدأت بريطانيا تؤيد فرنسا ضد العرب ، وعندما اجتمع مجلس الحلفاء الأعلى فى سان ريمو فى ابريل ١٩٢٠ تقرر أن تتولى فرنسا الانتداب على سورية ولبنان فى نظير أن تتخلى عن أطماعها فى العراق[٣٩] وبعد ذلك بدأت المسرحية الدرامية عندما وجه الجنرال الفرنسى « غورو » انذارا الى حكومة فيصل يتضمن عدة مطالب اهمها قبول الانتداب الفرنسى على سورية ، وتسريح الجيش العربى ، والغاء التجنيد الاجبارى وان تتسلم القوات الفرنسية السكك الحديدية التى تصل بين حلب وحمص وحماه ، وان يتم تداول العملة داخل سورية عن طريق بنك سورية ولبنان الفرنسى هذا بالاضافة الى انزال العقاب الشديد على رجال حركة المقاومة العربية المعادين لفرنسا[٤٠] .

وقدد حدد غورو مدة اربعة ايام لاجابة المطالب الفرنسية والا سيكون لقواته مطلق الحرية فى التصرف ونتيجة لذلك طلب الملك فيصل من الحكومة البريطانية التدخل لدى فرنسا ، ولكنها رفضت ذلك زاعمة أن لفرنسا الحق الأول فى سورية[٤١] مما جعل فيصل يحاول تفويت الفرصة على

---

(٣٨) عن نص هذا القرار انظر : ذوقان قرقوط : المشرق العربى فى مواجهة الاستعمار — قراءة فى تاريخ سوريا المعاصر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ٩٣ — ٩٦ .

(٣٩) انطونيوس : المرجع السابق ص٣٨٩ .

(٤٠) حول نصوص هذا الانذار انظر : قرقوط : المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٤١) قاسمية : المرجع السابق ص ١٩٨ .

الفرنسيين حتى لا يقوموا باحتلال دمشق ، فبدأ يتظاهر بتنفيذ شروط الانذار ، وينصح الزعماء السوريين بضبط النفس ، ولكن الفرنسيين انتهزوا فرصة انتهاء مدة الانذار وتحركوا تجاه دمشق لفرض السلطة الفرنسية بقوة السلاح .

وفى محاولة للدفاع عن العاصمة السورية أسرع يوسف العظمة — وزير الحربية السورى — الى تجهيز قواته لصد الغزاة ، واتخذ التدابير الدفاعية لعرقلة تقدم الفرنسيين ، كما أذاع الملك فيصل بيانا دعا فيه السوريين للدفاع عن بلادهم فتقدم حوالى ثلاثة آلاف متطوع سلاحهم البنادق وتجمعوا عند ميسلون[٤٢] أمام جيش فرنسى جرار يمتلك العدد والعدة ولديه الدبابات والطائرات والمدافع الرشاشة والمصفحات .

وفى صباح السبت الثامن من ذى القعدة ١٣٣٨هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٩٢٠م التقى الفريقان فى ربى ميسلون واحتدمت المعركة بينهما حيث أبدى الشعب السورى بطولة نادرة ، وبسالة فائقة فى الدفاع عن بلاده ، ولكن عدم التكافؤ فى المعدات والسلاح أدى الى حصد المقاتلين السوريين بمدافع الفرنسيين وطائراتهم وقنابلهم وافناء العديدين منهم ، وسقوط يوسف العظمة شهيدا ، ودخول الفرنسيين الى دمشق[٤٣] فى يوم وصفه ساطع الحصرى بأنه « من أخطر الأيام التى مرت على الأمة العربية فى تاريخها الحديث »[٤٤] .

ونتيجة لذلك بدأ الانتداب الفرنسى على سورية ، وأنزل العلم العربى ، ورفع مكانه العلم الفرنسى ، وفرض الحكم العسكرى على البلاد ، وأرغم الملك فيصل على مغادرة سورية والرحيل الى أوربا فى أغسطس

---

(٤٢) منطقة صحراوية فى مقدمتها تلال ملتفة ، وتبعد عن دمشق حوالى ٤٠ كيلو مترا .
انظر محمد بديع شريف وآخران : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ، القاهرة ، جامعة الدول العربية د . ت ص ٤١٥ .

(٤٣) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٥م ص ٢٦٠ — ٢٦١ .

(٤٤) عز الدين اسماعيل وآخرون : ساطع الحصرى حجة الفكر القومى المعاصر ، بيروت ، دار العودة ١٩٧٥ ص ٤١ .

١٩٢٠[٤٥] وبذلك زالت اول دولة عربيـــة اسست فى دمشق عقب زوال الحكم التركى وتبعثر على اثرها رجال الثورة العربية ، ودعاة القومية ، واصبح الفرنسيون يحكمون سورية ولبنان[٤٦] .

وبعد مغادرة الملك فيصل لسورية وضع مذكرة اوضح فيها للحكومة البريطانية الأعمال غير الشرعية التى ارتكبتها فرنسا فى سورية ، وانه ليس للفرنسيين الحق فى احتلال دمشق وسلبه مركزه بصفته عـــلى رأس حكومة سورية اختارها الشعب وفند التهم التى وجهتها فرنسا الى حكومته فأوضح أن الشعب الســورى بأجمعه يرفض انتداب الفرنسيين عـــلى بلاده[٤٧] ، وناشد بريطانيا أن تفى بعهودها للعرب .

وعلى كل حال فبعد معركة ميسلون اخذت الجنرال « غورو » روح الشماتة فى المسلمين فذهب الى قبر صلاح الدين فى دمشق وقال « ها قد عدنا يا صلاح الدين » ! و « هاهم احفـــاد الصليبيين فأين احفادك » ! وكان بذلك يتهكم على تول صلاح الدين للصليبيين « انكم خرجتم من الشرق ، ولن تعودوا اليه » وهكذا يتبين لنا مدى سيطرة الروح الصليبية عـــلى هؤلاء الذين ادعوا انهم انصار الانسانية والحرية .

وبدأت فرنسا فى السيطرة على الجيش والأمن العام والجمـــارك والشركات ، وتحكمت فى أمور ســـورية فأخضعت الأوقـــاف لسلطتها المباشرة[٤٨] ، وفرضت اللغة الفرنسية فى المحاكم والادارات ، وأعلنت تجزئة سورية ولبنان الى قسمين ، كما قسمت البلاد السورية الى أربع مناطق هى منطقة سورية بما فيها دمشق وحلب ، ومنطقـــة العلويين ، وجبل الدروز ، ومنطقة لبنان[٤٩] وحكم البلاد مفوض ســـام فرنسى .

---

(٤٥) محمد شريف وآخران : المرجع السابق ص ٤١٥ .
(٤٦) قاسمية : المرجع السابق ص ٢١٠ .
(٤٧) قرقوط : المرجع السابق ص ١٧٠ — ١٨٧ .
(٤٨) محمد سعيد أطلس : تاريخ العرب ج ٣ ، بـــيروت ، دار الاندلس ، ص ٨٢ .
(٤٩) بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين — ترجمـــة نور الدين حاطوم ، بيروت ، دار الفكر الحديث ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ص ٢٢٤ .

ونتيجة لهذه الاجراءات قام الوطنيون السوريون بثورات عارمة طالبوا فيها باستقلال بلادهم ووحدتها ، والاعتراف باللغة العربية ، وكيان سورية الاسلامى وكان من اهم هذه الثورات الثورة السورية الكبرى فى عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م والتى شملت انحاء البلاد السورية وجزءا من لبنان . وقد اتخذت هذه الثورة شكل حرب العصابات ضد الفرنسيين ، وانحصرت مطالبها فى انهاء الانتداب الفرنسى واعلان الاستقلال التام وتشكيل جمعية تأسيسية لوضع دستور للبلاد ، وانهاء الحكم العسكرى .

وقد أرجع بعض المؤرخين أسباب هذه الثورة الى :

١ — رفض المندوب السامى الفرنسى اقامة أحزاب فى سورية .

٢ — عنف الفرنسيين مع الزعماء السوريين .

٣ — تأثر السوريين بالحركات التحررية التى ظهرت فى كل من مصر والعراق .

٤ — بروز دور العديد من الشخصيات الهامة مثل فارس الخورى وجميل مردم وغيرهما ممن اقترن اسمهم بتاريخ سورية الحديث وبحركة الكفاح الوطنى(٥٠) .

وقد نشبت هذه الثورة فى جبل الدروز ثم سرعان ما انتشرت فى جميع انحاء سورية فشملت دمشق ، والغوطة وجبل الشيخ ، وقلمون ، وحمص ، وحماه ، وبعلبك .

من اشهر المعارك التى نشبت خلال هذه الثورة معركة المزرعة فى حوران ، وفيها قتل حوالى الف من الفرنسيين وغنم الثوار العديد من أسلحتهم وذخائرهم ، كما تمكن الثوار من دخول دمشق ، وحاولوا اغتيال المندوب السامى الفرنسى باطلاق الرصاص على القطار الذى كان يقله ،

---

(٥٠) صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ، القاهرة ، الانجلو المصرية ١٩٧٩م ص ١٦ .

ولم يستطع الفرنسيون مواجهة هذه الثورة الا بعد أن نقلوا من بلادهم اعدادا ضخمة من الجنود وصلت الى ما يزيد على مائة الف جندى .

وقد اشترك فى هذه الثورة عسكريون من جمعية العهد ، ومدنيون من جمعية العربية الفتاة وحزب الاستقلال وكان لانتصار الوطنيين فى جبل الدروز صدى واسعا فى كافة انحاء سورية ، مما دفع السوريين الى الاتفاق على برنامج عمل وطنى تركز فى وحدة سورية ، وجلاء القوات الفرنسية عنها ، واقامة حكومة وطنية يكون لها الحق فى التمثيل الخارجى والشروع فى انتخاب المجلس التأسيسى[٥١] ، كما دفعهم الى مواصلة الجهاد ومقاومة القوات الفرنسية مما ادى الى احراج موقف الفرنسيين ، وقيام قائدهم باصدار أوامره بضرب دمشق بالمدافع . وقد بدأ القصف فى ١٨ اكتوبر ١٩٢٥ واستمر يومين دمرت خلاله احياء كاملة ، ومواقع اثرية هامة . كما استعمل الفرنسيون اقسى أساليب القمع فى مواجهة الثوار فقطعوا المياه عن المدينة ، واقتلعوا العديد من الأشجار[٥٢] مما اثار استياء الضمير العالمى ، ولم يتوقف هذا القصف الوحشى الا بعد تدخل الدول الكبرى وتوسط الأعيان فى طلب التسليم ، وتحمل الأهالى الغرامة المالية التى فرضتها سلطات الانتداب . وعلى الرغم من ذلك فان الثورة لم تتوقف حيث نقل الثوار مراكزهم الى قرى الغوطة ، وبدأوا فى مهاجمة الفرنسيين ، مما جعل القوات الفرنسية تعيد ترتيباتها مرة أخرى فقصفت دمشق بالمدافع ، وبدأت فى مواجهة الثوار فى معارك غير متكافئة انتصر الثوار فى بعضها . ونظرا لخطورة الموقف بدأ الفرنسيون فى التركيز للقضاء على الثورة خصوصا فى دمشق . ونظرا لضعف امكانات الثوار ، واستنزاف مواردهم اضطروا الى توقف ثورتهم فى عام ١٣٣٦هـ / ١٩٢٧م[٥٣] .

وعلى كل حال فقد ارغمت هذه الثورة فرنسا على تغيير سياستها تجاه السوريين ، وبدأت تنظر الى مطالبهم بعين الاعتبار ، فالغيت الأحكام العرفية ، واعلن عن اجراء انتخابات من أجل تشكيل جمعية تأسيسية

---

(٥١) قرقوط : المرجع السابق ص ٢٩١ .
(٥٢) زاهية قدورة : المرجع السابق ص ٣٦٤ .
(٥٣) انطونيوس : المرجع السابق ص ٤١٦ .

لوضع دستور للبلاد ، وعينت حكومة مؤقتة برئاسة تاج الدين الحسينى للاشراف على الانتخابات ، وقد قبل الوطنيون الاشتراك فى هذه الانتخابات فى عام ١٩٢٨م وفازوا فيها[٥٤] الا أن فرنسا سرعان ما نقضت عهدها ، واعترضت على بعض مواد الدستور خصوصا المواد المتعلقة بالتمثيل الخارجى ، وسلطات رئيس الجمهورية والوحدة السورية ، ولكن الجمعية التأسيسية أصرت على ما جاء فى الدستور ، وعم الاضراب جميع أنحاء سورية وكثرت الاضطرابات ، وازداد الموقف اشتعالا بتعطيل الجمعية ، واعتقال الفرنسيين لعدد من زعماء الحركة الوطنية ، ولتهدئة الموقف أعلن المفوض السامى الفرنسى عن استعداده لاطلاق سراح المعتقلين السياسيين[٥٥] واجراء انتخابات جديدة تمهيدا لانتخاب رئيس للجمهورية ، ولعقد معاهدة مع فرنسا ، وقد جرت الانتخابات وتم انتخاب محمد على العابد رئيسا للجمهورية ، كما تم تكوين وفد من زعماء الحركة الوطنية برئاسة هاشم الأتاسى للدخول فى مفاوضات مع فرنسا ، وقد انتهت هذه المفاوضات بعقد معاهدة ١٩٣٦م وهى شبيهه الى حد كبير بالمعاهدة التى عقدتها بريطانيا مع مصر من حيث وضع القيود التى تحد من الاستقلال ، وتتلخص نصوص هذه المعاهدة فيما يلى :

١ — قيام تحالف عسكرى بين سورية وفرنسا للدفاع عن السلم والمحافظة على مصالحهما المشتركة .

٢ — أن تحتفظ فرنسا بنفوذها السياسى والعسكرى والاقتصادى وأن تلتزم سورية بتقديم كل التسهيلات اللازمة لفرنسا .

٣ — أن تقوم بعثة عسكرية فرنسية بالاشراف على الجيش السورى[٦] وتدريبه على أن توضع القوات العسكرية والطارات والمواصلات والطرق فى سورية تحت تصرف القوات الفرنسية .

---

(٥٤) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية — ترجمة أمين فارس ، ومنير البعلبكى — بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الاولى ١٩٤٩م ص ١٠٢ .

(٥٥) انطونيوس : المرجع السابق ص ٤٢٠ .

(٥٦) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية فى العهدين العربى الفيصلى والانتداب الفرنسى ١٩١٥ — ١٩٤٦ ، بيروت دار صادر ١٩٧٢ ص ٣٢٨ — ٣٣٠ .

٤ — أن تنضم سورية الى عصبة الامم بعد ثلاث سنوات من تنفيذ المعاهدة ، وبعدها تعترف فرنسا باستقلالها[٥٧] .

٥ — يستمر سريان هذه المعاهدة لمدة خمس وعشرين سنة[٥٨] .

وعلى الرغم من القيود التي فرضتها هذه المعاهدة على سورية وحرمتها من الهدف الرئيسي الذي تسعى اليه وهو الوحدة والاستقلال فان السوريين قبلوها على اعتبار انها خطوة في سبيل الاستقلال ، ونتيجة لذلك اجريت الانتخابات في سورية وتعين على اثرها هاشم الأتاسي رئيسا للجمهورية ، كما تألفت وزارة جديدة برئاسة جميل مردم ، ومع كل ذلك فقد حدث ما لم يكن في الحسبان حيث رفض البرلمان هذه المعاهدة بحجة انها تفقد فرنسا مركزها الاستعماري في الشرق ، وقد ترتب على ذلك عودة فرنسا الى تطبيق سياستها الاستعمارية ضد ابناء الشعب السوري ، ولم تكتف فرنسا بذلك بل عقدت في عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م معاهدة صداقة مع تركيا تنازلت فيها للأتراك عن لواء الاسكندرونة السوري مخالفة بذلك صك الانتداب مما تسبب في حرمان مدينة حلب السورية من مينائها الطبيعي ، وادى الى فقدان البلاد السورية لمدينة انطاكية التجارية الشهيرة[٥٩] .

وكانت حجة الفرنسيين في ذلك هو رغبة الاهالي اصحاب العلاقة المباشرة في الانضمام الى تركيا . وفي الحقيقة ان فرنسا هدفت من ذلك التقسيم الى :

١ — تشجيع الاتجاهات الانفصالية في سورية ، وتحويل بلاد الشام الى دويلات .

٢ — القضاء على الاتجاه القومي بين السكان ، واحلال الاتجاه الاقليمي مكانه[٦٠] .

---

(٥٧) المرجع السابق ص ٣٦ .
(٥٨) عن النص الكامل لهذه المعاهدة انظر : قرقوط : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ — ٤٣٤ .
(٥٩) العقاد : المرجع السابق ص ٣٣ .
(٦٠) انطونيوس : المرجع السابق ص ٤٠٩ .

وبعد ذلك اتجه الحكم الفرنسى فى سورية الى كبت الحريات العامة ، وتشديد الرقابة على الصحافة ، واضطهاد اصحاب الرأى ، والفكر ، والعناصر القيادية ، ونشر الاغلال بين أوساط الشعب السورى .

كل هذه الاجراءات اثارت ردود فعل عنيفة عند السوريين ، وخلال هذه الفترة قامت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ والتى هزمت فيها فرنسا فى بدايتها ودخل الالمان باريس ، وتولت حكومة فيشى الموالية لالمانيا مقاليد الأمور ، ووقعت الهدنة مع الألمان وكادت سورية ولبنان تخضعان للسيطرة الألمانية خصوصا وان ممثلى حكومة فيشى فى سورية كانوا يرغبون فى تقديم المساعدة للألمان ، ولكن ترددهم فى الموقف خشية اغضاب الولايات المتحدة وبريطانيا[٦١] قد ادى الى اسراع بريطانيا وقوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديجول فى الاستيلاء على سورية ودخول دمشق ، والقضاء على تبعية بلاد الشام لحكومة فيشى[٦٢] حيث عقدت هدنة مع حكومة فيشى كان من أهم شروطها الخروج من سورية[٦٣] .

وقد سعت حكومة فرنسا الحرة الى حمل السوريين على قبول معاهدة تتيح للفرنسيين امتيازات الدولة صاحبة الانتداب على سورية ، ولكن الشعب السورى رفض الارتباط بمثل هذه المعاهدة ، وقام بثورته فى عام ١٩٤٥ مما ادى الى قيام القوات الفرنسية باطلاق نيران مدافعها على المدن السورية برا وجوا ، ونظرا لأن بريطانيا كانت ترى فى هذه الأحداث اثارة للقلاقل بين اهالى الشام مما قد يعرقل جهود انهاء الحرب فانها حاولت وضع حد للارهاب الفرنسى عن طريق اقناع الفرنسيين باجراء انتخابات فى سورية[٦٤] وفعلا أجريت الانتخابات وفاز الوطنيون

---

(٦١) لوكازهير زوير : المانيا الهتلرية والمشرق العربى — ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى — القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ ص ٢٣٧ .

(٦٢) وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم — ترجمة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٧١ ص ٣٤٧٤ .

(٦٣) العقاد : المرجع السابق ص ٤٨ .

(٦٤) أميل البستانى : زحف العروبة — ترجمة عبد اللطيف أبو شرارة — بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٦١ ص ٧٦ .

بمعظم المقاعد ، وانتخب شكرى القوتلى رئيسا للجمهورية السورية فى عام ١٣٦٥هـ ١٩٤٥م ، وبدأ الوطنيون فى تسلم سلطاتهم غير أن فرنسا تراجعت عن موقفها ، ورفضت تسليم السلطة للوطنيين فتجددت الاضطرابات ، وقامت فرنسا بالضرب على أيدى الثوار كما قامت باطلاق نيران مدافعها على كل من دمشق وحلب وحماه مما كان له أكبر الأثر فى استنكار دول العالم لهذا الموقف ونتيجة لذلك تدخلت بريطانيا فى الأمر وطالبت بانسحاب القوات الفرنسية الى ثكناتها ووقف اطلاق النار ، وخلال ذلك عرضت الحكومة الوطنية السورية قضية بلادها على مجلس الأمن وقد شرع المجلس فى مناقشة القضية فى الخامس عشر من فبراير ١٩٤٦م وخلال ذلك أكد مندوب بريطانيا للحكومتين السورية واللبنانية أن حكومته تعطف على قضيتهما ، وترغب فى انسحاب الجيوش الفرنسية من بلديهما ، ووقف مندوب الولايات المتحدة بجانب حق سورية فى استقلالها وأعرب عن ثقته فى جلاء الجيوش الأجنبية عن سورية ولبنان فى أسرع وقت ممكن كما أكد المندوب الصينى على ضرورة تحديد موعد بدء الجلاء وانتهائه[٦٥] . وبعد مشاورات ومداولات وافقت أغلبية الدول الأعضاء على انسحاب القوات الفرنسية والانجليزية من سورية ولبنان فتم الجلاء فى ١٣٦٧هـ الموافق ١٧ ابريل ١٩٤٦م وبذلك أصبحت سورية دولة مستقلة ، واعتبر أبناء سورية ذلك اليوم عيدا وطنيا[٦٦] .

وقد سارت سورية فى ركب التحرر العربى ، ووقعت على ميثاق الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥م ، كما انضمت الى هيئة الأمم المتحدة .

سوريـــة فى ظـــل الاســـتقلال :

بعد أن تحقق لسورية استقلالها تحملت حكوماتها الوطنية مسئوليات جسام كان من أهمها التخلص من رواسب الاستعمار الثقافية بعد أن تخلصت من الاستعمار السياسى ، واصلاح ما أفسده الفرنسيون ، كما واجهت هذه الحكومات مشكلات خارجية متعددة أهمها حرب فلسطين عام

---

(٦٥) شاكر الدبس : الدول العربية فى منظمة الأمم المتحدة ، دمشق ، مطبعة الانشاء ، ١٩٤٨ ، ص ٩٠ — ٩١ .
(٦٦) نفسه ص ٩١ .

١٩٤٨ ، والمؤامرات الاستعمارية ضدها ، ونتيجة للمخاوف وخشية من انفلات الأمور استولى الجيش السورى على السلطة ، وتعرضت سورية لمجموعة من الانقلابات العسكرية ثم استؤنفت الحياة الدستورية واختير شكرى القوتلى رئيسا للجمهورية فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٥ وسرعان ما بلغ التوتر بين الجيش والحكومة اقصاه ، ومن هنا رأى ضباط الجيش أن الحل الأمثل للأزمة التى تتعرض لها سورية هو الاتحاد مع مصر ، وفى أعقاب ذلك جرى العديد من الاتصالات والمباحثات مع مصر وانتهت بتوقيع اتفاقية الوحدة فى أول فبراير ١٩٥٨[٦٧] وأعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر ، وسميت سورية بالاقليم الشمالى ، ومصر بالاقليم الجنوبى ، ولكن هذه الوحدة لم تستمر طويلا ، وقد استطاعت المؤامرات الاستعمارية الاطاحة بهذه الوحدة على اثر انقلاب عسكرى فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وأعلن عن انفصال سورية عن مصر ، وقامت حكومة دستورية برئاسة الدكتور معروف الدواليبى ، كما انتخب الدكتور ناظم القدسى رئيسا للجمهورية ، وفى مارس ١٩٦٢ أطاح انقلاب عسكرى بالحكومة ، وتولى الجيش مقاليد السلطة ، واستمرت الحركات الانقلابية فى سورية حتى قيام حزب البعث باستلام السلطة .

وفى يونيو ١٩٦٧ واجهت القيادة السورية الهزيمة فى معركتها مع اسرائيل ، وضاعت الجولان .

وفى ١٣ نوفمبر ١٩٧٠ قامت حركة فى سورية بقيادة الفريق حافظ الأسد وزير الدفاع وقائد السلاح الجوى ، ونجح فى الاستيلاء على السلطة ، واختير فى ٢٢ فبراير ١٩٧١ رئيسا للجمهورية . ومن أبرز مظاهر السياسة السورية فى عهده توثيق العلاقات مع بعض الدول العربية ، كما انضمت سورية الى ميثاق طرابلس الذى يضم اتحادا رباعيا من سورية ومصر وليبيا والسودان[٦٨] .

وقد شاركت سورية فى حرب رمضان ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م هذا الى جانب مواقفها من القضية اللبنانية .

---

(٦٧) كانت هذه الوحدة أول تجربة وحدة عربية فى العصر الحديث .
(٦٨) ياغى وشاكر : المرجع السابق .

(الملاحق)

ملحق رقم (١)

معاهدة « سايكس بيكو » المعقودة بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩١٦

فى يوم ٩ تشرين الثانى ١٩١٥ عينت الحكومة الفرنسية الموسيو جورج بيكو قنصلها العام فى بيروت سابقا مندوبا ساميا لمتابعة شؤون الشرق الأدنى ولمفاوضة الحكومة البريطانية فى مستقبل البلاد العربية فلم يلبث أن شد رحاله الى القاهرة واجتمع الى السير مارك سايكس النائب فى مجلس العموم البريطانى والمندوب السامى لشؤون الشرق الأدنى بمصر وكان سايكس قد أنجز صفقته مع الشريف حسين دون أن تطلع الحكومة البريطانية الحكومة الفرنسية على شروط الاتفاق معه . وهناك دارت المفاوضات بينهما بشأن مصير البلاد العربية وبعد أن تم الاتفاق عليها فى شهر ايار ١٩١٦ دون علم الحسين أرسل الموسيو بول كامبون سفير فرنسا فى لندن فى ٩ ايار ١٩١٦ الى السير ادوارد غراى وزير الخارجية البريطانى الكتاب الآتى :

« أمرت أن أبلغكم أن الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التى رسمت على الخرائط الموقعة من جانب السر مارك سايكس والمسيو جورج بيكو ورضيت بالمبادىء التى دارت عليها المفاوضات بينهما وهى تنتظر التوقيع على نصوص الاتفاقية المرسلة طيه :

المادة الاولى : ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربى

الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية فى العهدين الفيصلى والانتداب الفرنسى ص٢٤ — ٢٩ .

فى المنقطتين (أ) (داخلية سورية) و (ب) (داخلية العراق) المبينتين فى الخريطة الملحقة بهذا ويكون لفرنسا فى منطقة (أ) ولانكلترا فى منطقة (ب) حق الأولوية فى المشروعات والقروض المحلية وتنفرد فرنسا فى منطقة (أ) وانكلترا فى منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية : يباح لفرنسا فى المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولانكلترا فى المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة : تنشأ ادارة دولية فى المنطقة السمراء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا والاتفاق مع بقية اللحلفاء وممثلى شريفه مكة .

المادة الرابعة : تنال انكلترا ما يأتى :

١ — ميناء حيفا وعكا .

٢ — يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات فى المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن تدخل فى مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسوية مقدما .

المادة الخامسة : تكون اسكندرونة ميناء حرا لتجارة الامبراطورية البريطانية ولا تنشأ معاملات مختلفة فى رسوم الميناء ولا ترفض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية وتباح حرية النقل للبضائع الانكليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد فى المنطقة الزرقاء سواء كانت واردة الى المنطقة الحمراء أو الى المنطقتين (أ) و (ب) أو صادرة منهما . ولا تنشأ مختلفة (بالذات أو بالتبع) على أى سكة من سكك الحديد أو فى أى ميناء من موانىء المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر البريطانية .

وتكون حيفا ميناء حرا لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ولا يقع اختلاف فى المعاملات ولا يرفض اعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسوية ويكون نقل البضائع الفرنسوية حرا بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الانكليزية فى المنطقة السمراء سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء أو المنطقة (أ) أو المنطقة (ب) أو واردة اليها ولا يجرى أدنى اختلاف فى المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البضائع أو البواخر الفرنسوية فى أى سكة من سكك الحديد ولا فى ميناء من الموانىء فى المناطق المذكورة .

المادة السادسة : لا تمد سكة حديد بغداد فى المنطقة (أ) الى ما بعد الموصل جنوبا ولا فى المنطقة (ب) الى ما بعد سامرا شمالا الى أن يتم انشاء خط حديدى يصل بغداد بحلب مارا بوادى الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين .

المادة السابعة : يحق لبريطانيا العظمى أن تنشىء وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدى يصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها ماعدا ذلك حق دائم بنقل الجنود فى اى وقت كان على طول هذا الخط . ويجب أن يكون معلوما لدى الحكومتين أن هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد وانه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال فى المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذرا فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة ان تسمح بمروره فى طريق بربورة — أم قيس — ملقى — ايدار — غسطا — مغاير قبل أن يصل الى المنطقة (ب) .

المادة الثامنة : تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة فى جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين (أ) و (ب) فلا يضاف اى علاوة على الرسوم ولا تبدل قاعدة التثمين فى الرسوم بقاعدة اخذ العين الا أن يكون بالتفاق بين الحكومتين .

ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة اعلاه وما يفرض من رسوم الجمرك على البضائع المرسلة الى الداخل يدفع فى الميناء ويعطى لادارة المنطقة المرسلة اليها البضائع .

المـــادة التاسعة : من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لا تجـــرى مفاوضة فى اى وقت كان للتنازل عن حقوقها ، ولا تعطى مالها من الحقوق فى المنطقة الزرقاء لدولة اخرى سوى للدولة او حلف الدول العربية بدون ان توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التى تتعهد للحكومة الفرنسوية بمثل هذا فى ما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

المـــادة العاشرة : تتفق الحكومتان الانكليزيـــة والفرنسويـــة بصفتهما حاميتين لدولة العربية على ان لا تمتلكا ولا تسمحا لدولة ثالثة ان تمتلك اقطارا فى شبه جزيرة العرب او تنشىء قاعدة بحرية فى الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقى على أن هذا لا يمنع تصحيحا فى حدود عدن قد يصبح ضروريا بسبب عداء الترك الاخير .

المـــادة الحادية عشرة : تستمر المفاوضـــات مـــع العـــرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعين حدود الدولـــة او حلف الدولـــة العربيـــة .

المـــادة الثانية عشرة : من المتفق عليه عدا ما ذكر أن تنظر الحكومتان فى الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية .

— ٢ —

وفى يوم ١٥ مايو ســـنة ١٩١٦ ارســـل السر ادوارد غـــراى وزير الخارجية البريطانية الى سفير فرنسا فى لندن الكتاب الآتى :

« لى الشرف ان اجيبكم على كتابكم المؤرخ ٩ الجارى والخاص بايجاد حكومة عربية ، انى انتظر أن تعلمونى مباشرة فى ما اذا كان فى امكانكم اعطائى ضمانات معينة تضمن بقاء حقوق الملاحة والامتيازات البريطانيـــة فى المعاهد والمؤسسات الدينيـــة ومعاهد التعليم والمعاهد الصحيـــة التى ستصير فى ما بعد مناطق فرنسوية او فى المناطق التى تسود فيها المصالح الفرنسوية ، وفقا للقواعد الواردة فى كتابكم . وتفضلوا ...

— ٣ —

فرد عليه السفير الفرنسوى فى اليوم نفسه بالخطاب الآتى :

« لقد اعربتم فى كتابكم بتاريخ اليوم عن رغبتكم قبل الرد على كتابى الخاص بمسألة تأليف حكومة عربية والمؤرخ ٩ الجارى — فى الحصول على ما يضمن لكم دوام بقاء امتيازات وحقوق الملاحة وكذلك جميع الحقوق والامتيازات البريطانية فى المؤسسات الدينية ومعاهد التعليم وفى المعاهد الصحية فى المناطق التى تصير فى ما بعد مناطق فرنسوية او فى المناطق التى تسود فيها المصالح الفرنسوية — كما ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ستعترف بهذا الحق عينه لفرنسا فى المناطق التى تصير فى ما بعد مناطق بريطانية على الشرف ان ابلغ سعادتكم أن حكومة فرنسا مستعدة للمصادقة على جميع الامتيازات البريطانية المخلفة التى يرجع تاريخها الى زمن معين قبل الحرب فى المناطق التى تنتسب الى فرنسا فى ما بعد او المناطق التى تعتمد على مجهوداتها فيها ، اما فيما يختص بالمؤسسات الدينية ومعاهد التعليم والمعاهد الصحية فانها ستظل كما فى الماضى مستمرة فى أداء مهمتها . والفت نظركم فى الوقت نفسه الى ان هذا العهد لا يشمل الامتيازات الأجنبية او ما يتعلق بالأمور العدلية والقضاء .

— ٤ —

فرد عليه السر ادوارد غراى يوم ١٦ منه بالكتاب الآتى :

جوابا لخطابكم المؤرخ فى ١٥ الجارى لى الشرف ان أبلغ سعادتكم أن قبول جميع هذه التكليفات والترتيبات تهيئتها الحالية مما يوجب اهمال المنافع البريطانية العظيمة غير انه لما كانت حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ترجو الفوائد العميمة لمصالح الحلفاء عامة باحداث حالة سياسية داخلية مساعدة فى تركيا ، فقد استعدت لقبول المواد المتفق عليها لضمان اشتراك العرب فى الحرب ولكى يقوموا بواجب التحالف فيحتلوا حلب وحماه وحمص ودمشق ، فاذن حصل التفاهم بين انكلترا وفرنسا فيما يتعلق بالشروط الواردة فى كتابكم المؤرخ ٩ الجارى .

ثم أدرج فى الكتاب نص مواد المعاهدة التى أصبحت معتبرة من تاريخ ١٦ أيار ١٩١٦ والتى تتناقى والعهود المقطوعة للشريف حسين بن علي أمير مكة المكرمة تباعا .

ملحوظة :

فى الاتفاق الذى تم بين انكلترا وفرنسا فى ١٥ ايلول ١٩١٩ تنازلت انكلترا لفرنسا عن كيليكيا وسوريا ساحلا وداخلا مع اطلاق يدها فى جميع مناطقها ولقاء ذلك تعهدت فرنسا بعدم المطالبة بالموصل ضمن الحدود السورية وباطلاق يد انكلترا فى فلسطين وفى العراق وبسلخ شرقى الأردن عن سوريا واعطائها لانكلترا ، وكانت الموصل فى معاهدة سايكس — بيكو من حصة فرنسا وأن فلسطين يجب أن تكون تحت ادارة دولية لا بريطانية فقط .

ملحق رقم (٣)

نص صك الانتداب على سوريا ولبنان

مجلس جمعية الأمم :

لما كانت دول الحلفاء متفقة على أن أراضى سورية ولبنان التى كانت فى ما مضى جزءا من السلطنة العثمانية يعهد بها ضمن حدود تعينها الدول المشار اليها الى دولة منتدبة موكول اليها نصح الاهالى ومعاونتهم وارشادهم فى ادارتهم وفقا لنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من جمعية الأمم ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد قررت أن الانتداب على البلاد المذكورة يعطى لحكومة الجمهورية الفرنسية وعرض للتصديق على مجلس جمعية الأمم ولما كانت حكومة الجمهورية الفرنسية تتعهد باجراء هذا الانتداب باسم جمعية الأمم طبقا للمواد المذكورة ، ولما كانت نصوص المادة الثانية والعشرين الآنفة الذكر (الفقرة الثانية) تقضى بأنه لما كانت درجة السلطة والمراقبة والادارة التى تجريها الدولة المنتدبة لم يتفق عليها سابقا بين أعضاء جمعية الأمم فالمجلس هو الذى ينظم ذلك ، ليضع نصوص الانتداب كما يلى موافقا عليه :

١ — تضع الحكومة المنتدبة فى برهة ثلاث سنوات اعتبارا من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب دستورا نظاميا لسورية ولبنان يصاغ هذا الدستور بالاتفاق مع السلطات الوطنية وتراعى فيه حقوق عموم السكان القاطنة فى هذه البلاد ومصالحهم وتشرع الحكومة المنتدبة فى ايجاد الوسائل التى من شأنها أن تسهل تقدم سورية ولبنان ورقيهما كحكومتين متصلتين وتسيرهما بموجب روح هذا الصك الى أن يتم الشروع فى تنفيذ ذاك الدستور ويجب على الدولة المنتدبة أن تنشط الاستقلال المحلى قدر ما تسمح به الأحوال .

٢ — يمكن للحكومة المنتدبة أن تبقى جنودها فى البلاد للدفاع عنها وقد خولت حق تنظيم جند من المجلس المحلى قصد المحافظة على الأمن

والدفـــاع عن البلاد وكما تقتضيه الأحوال وذلك حتى تنفيذ الدســـتور واعادة الأمن الى نصابه وتنظيم جنود المجلس المحلى وسكان البلاد فقط ، ترتبط هذه الجنود فيما بعد بالادارت المحلية تحت اشراف الدولة ولا يجوز استخدامها لأغراض أخرى سوى الاغراض المعنية فيما تقدم الا بعد موافقة الدولة المنتدبة لا مانع يمنع سورية ولبنان من الاشتراك فى نفقات القوات التى تضعها الدولة المنتدبة فى البلاد .

يحق للدولة المنتدبـــة فى كل حـــين ان تســـتعمل الموانى والخطوط الحديدية ووسائل النقل الموجودة فى سورية ولبنان لسوق جنودها ونقل جميع المواد والمهمات والوقود اللازمة لها .

٣ — يعهد الى الدولة المنتدبة بالسيطرة على جميع علاقات سورية ولبنان الخارجية ولها حق اصدار البراآت الى القناصل الذين يعينون من قبل الدول الأجنبية وتشمل الدولة المنتدبة بحمايتها السياسية والقنصلية الرعايا السوريين الذين يعيشون خارج هذه البلاد .

٤ — الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن أى جزء من أجزاء سورية ولبنان وعن عدم تأجيره أو وضعه تحت تسلط دولة أجنبية .

٥ — ان اعفاء الأجـــانب من الأمـــور الواجبة وتمتعهم بالامتيازات الأجنبية وبقضاء القنصلاتو وحمايته التى كانوا يتمتعون بها أيام الدولـــة العثمانية لا تطبق فى سورية ولبنان غير ان محاكم القنصلاتو الأجنبية تداوم على القيام بوظيفتها الى ان يتم تنفيذ النظام الجديد المنصوص عنه بالمـــادة السادسة ، ان الدول التى كان اتباعها يتمتعون بالأمتيازات الأجنبية المبينة اعلاه لأول اغسطس سنة ١٩١٤م والتى لم تتنازل عن هذه الامتيـــازات أو توافق على عدم تطبيقها لأجل محدود ستمنح ثانية جميع الامتيازات أو بعضها بعد انقضاء أمـــد الانتداب بالصورة التى يتم عليها الاتفـــاق بين الدول ذات الشأن .

٦ — تضع الحكومة المنتدبة فى سورية ولبنان نظاما قضائيا يصون حقوق الوطنيين والأجانب على الســـواء ويحافظ عـــلى أحـــوال الناس

الشخصية وعلى مصالحهم الدينية وخصوصا ادارة الأوقاف التى تدار وفقا للشريعة ولارادة الواقف .

٧ — تكون معاهدات تسليم الرعايا الأجانب المبرمة بين الدولة المنتدبة وبين سائر الدول الأجنبية مرعية فى سورية ولبنان الى أن يتم عقد اتفاقات خاصة بهذا الشأن .

٨ — تضمن الدولة المنتدبة للجميع حرية الضمير وحرية القيام فى جميع شعائر العبادة التى لا تخل بالأمن ولا بالآداب العامة ولا يكون تمييز من أى نوع بين سكان سورية ولبنان بسبب الجنس أو الدين أو اللغة ، تنشط الحكومة المنتدبة التعليم العام ويكون هذا التعليم بلغة البلاد المحلية ، لا تحرم جميع الطوائف حق المحافظة على مدارسها وتعليم ابنائها بلغتها متى كان ذلك مطابقا لقانون التعليم العام الذى تعينه الحكومة .

٩ — تتجنب الحكومة المنتدبة التدخل فى أعمال المجالس الادارية وفى ادارة الطوائف الدينية وفى ادارة المعابد المقدسة التى تخص احدى الطوائف وقد تكفلت بالمحافظة على هذه المعابد .

١٠ تحدد سلطة الدولة المنتدبة فى مراقبة البعثات الدينية فى سورية ولبنان لأجل محافظتهم على الأمن وعلى الحكم بطريقة مرضية ولا تحصر الدولة المنتدبة مساعى هذه البعثات بصورة من الصور ولا تقيد أعضاءها بقيود بسبب توصيتهم ما لم تخرج أعمالهم عن أصول الدين ، يمكن لهذه البعثات الدينية أن تشتغل بأمور الاسعاف والتعليم تحت مراقبة الدولة المنتدبة أو الحكومة المحلية .

١١ — يجب على الحكومة المنتدبة أن لا تميز بالمعاملة فى سورية ولبنان بين أتباعها وبين أتباع غيرها من الدول الداخلة فى عضوية جمعية الأمم وتشمل هذه المعاملة الجمعيات والشركات الأجنبية على اختلافها وان لا تميز أيضا بين أتباع أى دولة أجنبية وبين أتباعها فى الأمور التى لها مساس بالضرائب والتجارة والملاحة وتعاطى الحرف والمهن أو فى معاملة السفن البحرية أو الوسائط الهوائية وكذلك الأمر يجب أن لا يكون تمييز فى سورية ولبنان بين البضائع التى يكون مصدرها أو محط رحالها

بلاد تلك الدول المذكورة ويجب اطلاق حرية المرور التجارية عبر المنطقة المشار اليها بشروط عادلة ، يمكن للحكومة المنتدبة بعد مراعاة ما ذكر أعلاه أن تفرض الضرائب والرسوم الجمركية التى تراها ضرورية أو أن توعز للحكومات المحلية أن تفرضها ويمكن للدولة المنتدبة أو الدولة المحلية التابعة لمشورتها أن تعقد لأسباب جوارية اتفاقا جمركيا خاصا مع البلاد المتاخمة لها ويمكن للحكومة المنتدبة عملا بشروط البند الأول من هذه المادة أن تتخذ الوسائل الفعالة التى تعتقد صلاحها لترقية موارد البلاد الطبيعية مع المحافظة على مصالح السكان ، تمنح الامتيازات لترقيـــة هذه الموارد الطبيعية لمن شاء دون تمييز فى تابعية الأشخاص الداخلة دولهم فى عداد أعضاء جمعية الأمم بشرط الا تمس هذه الامتيازات بسلطة الحكومة المحلية ولا تمنح الامتيازات بصفة احتكار عام ، لا تمس هذه الفقرة بتحديد سلطة الدولة المنتدبة فى ايجاد الاحتكارات المـــالية التى من شأنها أن ترقى مصالح سورية ولبنان وتحفظ مواردهما المـــالية والمحلية ويمكن للحكومة أن تسعى لترقية هذه الموارد الطبيعية مباشرة أو بواسطة شركة خاصة تعمل تحت اشرافها بشرط أن لا يوجد هذا العمل لا عمدا ولا بالوسطة احتكارا خاصا بالدولة المنتدبة أو برعاياها أو يمنحهما ميزة فى الأمور الاقتصادية والتجارية والصناعية التى تقرر فيها المساواة بين الجميع .

١٢ — تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن سورية ولبنان على كل اتفاق دولى عام عقد حتى الآن أو ربما يعقد فيما بعد بموافقة جمعية الأمم بخصوص الاتجار بالرقيق وبالعقاتير وبالسلاح والمعدات الحربية وبالمساواة التجارية وحرمة العبور والملاحة الطيران والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية وباتخاذ الوسائط اللازمة لحماية الصنائع والآداب والفنون .

١٣ — تصون الدولة المنتدبة بقدر ما تسمح لها الأحوال الاجتماعية والدينية اتحاد سورية ولبنان فى الأمور ذات الفوائد العامـــة التى تقرها جمعية الأمم لمنع الأمراض ومقاومتها وفى جملتها أمراض الحيوان والنبات .

١٤ — تتضمن هذه المـــادة بحثا طويلا فى قانون الآثار لا فائدة من نشره وهو شبيه بالمـــادة الخاصة بالآثار فى صك الانتداب بفلسطين فلـــيرجع اليها .

١٥ — عندما يتم تنفيذ الدستور المنصوص عليه فى المادة الأولى يوضع ترتيب بين الحكومة المنتدبة والحكومات المحلية تدفع بموجبه هذه الحكومات جميع النفقات التى انفقتها الحكومة المنتدبة لأجل تنظيم الادارة وترقية الموارد المحلية والقيام بالمشروعات العامة التى أفادت البلاد افادة خاصة وترسل نسخة عن هذه الترتيبات الى مجلس جمعية الأمم .

١٦ — تكون اللغة الفرنسية واللغة العربية الرسميتين المستعملتين فى سورية ولبنان .

١٧ — تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الأمم تقريرا سنويا حسب طلبه تبين فيه التدابيرات التى اتخذتها أثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ويرسل مع هذا التقرير نسخ عن جميع القوانين والأنظمة التى سنت سنويا .

١٨ — يجب أن يوافق مجلس جمعية الأمم على كل تعديل يحصل فى شروط هذا الصك .

١٩ — يستعمل مجلس جمعية الأمم نفوذه عندما تنتهى مدة الانتداب لتحافظ حكومة سورية ولبنان فى المستقبل على علاقاتهما المالية ومنها الرواتب القانونية التى منحتها ادارة سورية ولبنان أيام الانتداب .

٢٠ — توافق الدولة المنتدبة اذا حصل نزاع بينها وبين دولة ثانية داخلة فى عضوية جمعية الأمم بخصوص تغير شرط فى صك الانتداب أو تطبيقه على عرض هذا النزاع على محكمة العدل الدولى الدائمة المنصوص عليها فى المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الأمم هذا اذا لم يمكن حل النزاع بين الدولتين بواسطة المفاوضات » انتهى .

ملاحظة : رغم اقرار الانتداب يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢م فانه لم يوضع موضع التنفيذ رسميا الا يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ وذلك بسبب معارضة ايطاليا وأول تقرير قدمته فرنسا الى جمعية الأمم عن الحالة فى سورية كان فى اكتوبر ١٩٢٤م .

ملحق رقم (٣)

منشور سلطان الأطرش الأول للثورة السورية عام ١٩٢٥م

وزع يوم ٢٣ اغسطس على صحف القاهرة باسم سلطان باشا الاطرش قائد جيش الثورة فى جبل الدروز منشور طويل يبين به الغرض من ثورته ويذكر المطالب التى قام لأجلها وهو يبتدى بقوله :

يا احفاد العرب الأمجاد هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم والعاملين فى سبيل الحرية والاستقلال عملهم هذا يوم انتباه الأمم والشعوب فلننهض من رقادنا ولنبدد ظلام التحكم الأجنبى عن سماء بلادنا لقد مضى علينا عشرات السنين ونحن نجاهد فى سبيل الحرية والاستقلال فلنستأنف جهادنا المشروع بالسيف بعد ان أسكت القلم ولا يضيع حق وراءه مطالب .

أيها السوريون لقد أثبتت التجاريب أن الحق يؤخذ ولا يعطى فلنأخذ حقنا بحد السيف ولنطلب الموت توهب لنا الحياة ، أيها العرب السوريون تذكروا أجدادكم وتاريخهم وشهداؤكم وشرفكم القومى تذكروا ان يد الله مع الجماعة وان ارادة الشعب من ارادة الله وأن الأمم المتحدة الناهضة لن تنالها يد البغى لقد نهب المستعمرون أموالنا واستأثروا بمنافع بلادنا واقاموا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد وقسمونا الى شعوب وطوائف ودويلات وحالوا بيننا وبين حرية الدين والفكر والضمير وحرية التجارة والسفر حتى فى بلادنا واقاليمنا .... الى السلاح أيها الوطنيون الى السلاح تحقيقا لأمانى البلاد المقدسة الى السلاح تأييدا لسيادة الشعب وحرية الأمة الى السلاح بعد أن سلب الأجنبى حقوقكم واستعبد بلادكم ونقض عهودكم ولم يحافظ على شرف الوعود الرسمية وتناسى الأمانى القومية ، نحن نبرأ الى الله من مسئولية سفك الدماء ونعتبر المستعمرون مسؤولين مباشرة عن الفتنة يا ويح الظلم ، لقد وصلنا الى أن نهان فى عقر دارنا فنطلب استبدال حاكم أجنبى محروم من المزايا الانسانية بآخر من بنى جلدته الغاصبين فلا نجاب الى طلبنا ، بل يطرد وفدنا كما تطرد النعاج الى السلاح أيها الوطنيون ولنغسل اهانة الأمة بدم النجدة والبطولة ان حربنا اليوم هى حرب مقدسة ومطالبنا هى :

اولا : وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالا تاما .

ثانيا : قيام حكومة شعبية تجمع المجلس التاسيسى لوضع قانون اساسى على مبدأ سيادة الأمة سيادة مطلقة .

ثالثا : سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتاليف جيش محلى لصيانة الأمن .

رابعا : تاييد مبدأ الثورة الا فرنسية و (حقوق الانسان) فى الحرية والمساواة والاخاء الى السلاح ولنكتب مطالبنا المشروعة هذه بدمائنا الطاهرة كما كتبها اجدادنا من قبلنا الى السلاح والله معنا والانسانية معنا ولتحيى سوريا حرة مستقلة .

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

سلطان الاطرش

ملحق رقم (٤)
نص المعاهدة الفرنسية السورية عام ١٩٣٦

ان حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة الجمهورية السورية :

بناء على تصريح الحكومة الفرنسية أمام عصبة الأمم بقصدها عقد معاهدة مع الحكومة السورية معتبرة ما تم من التطور فى سوريا ، ونظرا للتقدم الذى تحقق فى سبيل تثبيت سورية أمة مستقلة وبناء على اتفاق الحكومتين على تهيئة جميع الشروط لقبول سورية فى عصبة الأمم فى مهلة ثلاث سنوات تبدأ من مراسم ابرام المعاهدة ، متبعين فى ذلك منهاجا تام الصراحة ، قد اتفقتا لهذه الغاية على عقد معاهدة صداقة وتحالف لتحدد على اسس الحرية التامة والسيادة والاستقلال للعلاقات التى تظل قائمة بين الدولتين بعد زوال الانتداب وعلى تعيين شروط تطبيق المعاهدة واساليبه فى الاتفاقات والبروتوكلات والمراسلات الملحقة بالمعاهدة والمعتبرة جزءا غير منفصل عنها . ولهذا الغرض قد انتدب كل من صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التونسية وصاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية مفوضين عنهما ، وهم بعد ان تدالوا أوراق اعتمادهم ووجدوها صحيحة اتفقوا على ما يلى :

المادة الأولى : يسود بين فرنسا وسوريا سلم وصداقة دائمان ويقوم تحالف بين الدولتين المستقلتين بالسيادة توثيقا لصداقتهما وللصلات التى تجمع بينهما للدفاع عن السلم والمحافظة على مصالحهما المشتركة .

المادة الثانية : اتفقت الحكومتان على أن تتشاورا بصورة تامة وبدون تحفظ فى كل أمر يتعلق بالسياسة الخارجية من شأنه ان يمس بمصالحهما المشتركة ، وقد تعهدتا بأن تقفا ازاء الدول الأجنبية موقفا يلائم تحالفهما وبأن تجتنبا كل عمل من شأنه أن يسىء الى علاقتهما مع الدول الأخرى وتقيم كل منهما لدى الأخرى ممثلا سياسيا .

المادة الثالثة : يتخذ الطرفان السامیان المتعاقدان جميع التدابير النافعة لتنقل يوم زوال الانتداب الى الحكومة السورية وحدها الحقوق

والواجبات الناجمة عن المعاهدات والاتفاقات وسائر العقود الدولية التى عقدتها الحكومة الفرنسية فيما يخص سوريا أو باسمها .

المادة الرابعة : اذا أدى خلاف بين سورية ودولة اخرى الى حالة من شأنها احداث خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة تتداول عندئذ الحكومتان لتسوية الخلاف بالطرق السلمية وفقا لأحكام ميثاق عصبة الأمم أو لأى اتفاق دولى آخر ينطبق على مثل تلك الحال ، واذا وجد أحد الطرفين الساميين المتعاقدين نفسه رغم التدابير المنصوص عنها فى الفقرة السابقة مشتبكا فى نزاع يبادر حينئذ الطرف السامى المتعاقد الآخر فورا الى نجدته بصفته حليفا وفى حال خطر حرب محدق يتداول الطرفان الساميان المتعاقدان فورا لاتخاذ تدابير الدفاع الضرورية ، ومعونة الحكومة السورية تنحصر فى ان تقدم الى الحكومة الفرنسية فى الأراضى السورية كل ما فى وسعها من التسهيلات والمساعدة بما فيه استعمال السكك الحديدية ومجارى المياه والموانى والمطارات وسطوح المياه وسائر وسائل المواصلات .

المادة الخامسة : ان مسئولية حفظ النظام فى سوريا ومسئولية الدفاع عن اراضيها على الحكومة السورية والحكومة الفرنسية تقبل بتقديم مساعدتها العسكرية الى سورية مدة المعاهدة وفقا لنصوص الاتفاق الملحق وتسهيلا لقيام الحكومة الفرنسية بالواجبات المترتب عليها عملا بالمادة السابقة من هذه المعاهدة تعترف الحكومة السورية بأن استقرار بقاء مسلك العبور (الترانسيت) الجوية للحكومة الفرنسية التى تجتاز الأراضى السورية وصيانتها فى جميع الظروف هما من مصلحة التحالف .

المادة السادسة : عقدت هذه المعاهدة لمدة خمس وعشرين سنة ، المدة ذاتها المحددة للمعاهدة تكون للاتفاق والعقود التطبيقية ما لم ينص فى متنها على مدة اقصر أو يتفق الطرفان الساميان المتعاقدان على اعادة النظر فيها ، مجاراة لأوضاع جديدة وتتضح المفاوضات لتجديد المعاهدة أو تعديلها اذا طلبت ذلك احدى الحكومتين اعتبارا من السنة العشرين بعد وضعها موضع العمل .

المـــادة السابعة : تبرم هذه المعاهدة ، ويتم تبادل صكوك الابرام بأسرع ما يمكن الى عصبة الأمم ، توضع هذه المعاهدة موضع العمل ، مع الاتفاقات والعقود الملحقة بها يوم قبول سورية فى عصبة الأمم .

المـــادة الثامنة : حالمـــا توضع هذه المعاهدة موضع العمل تسقط عن الحكومة الفرنسية المسئوليات والواجبات المترتبة عليها فيما يتعلق بسوريا سواء من جراء مقررات دولية أو من أعمال عصبة الأمم وما يبقى من هذه المسئوليات والواجبات ينتقل وتلقاء نفسه الى الحكومة السورية .

المـــادة التاسعة : كتبت هذه المعاهدة بالفرنسيـــة والعربيـــة وكلا النصين رسمى ويعول على النص الفرنسى

اذا حصل اختلاف بشأن هذه المعاهدة أو تطبيقها ولم يمكن حسمه نهائيا عن طريق المفاوضة مباشرة فالطرفان السامیان المتعاقدان متفقان على أن يلجأ الى أصول المصالحة والتحكيم المنصوص عليها فى ميثاق عصـــبة الأمم .

ثبت المصادر والمراجع

اولا : الوثائق :

دار الوثائق القومية بقلعة صلاح الدين بالقاهرة محافظ عابدين — محفظة رقم ٢٥٩ .

ثانيا : المصادر والمراجع العربية :

احمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث — بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ .

اسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية — بيان بوثائق الشام — المجلد الأول ١٢١٥ — ١٢٤٧هـ / ١٨١٠ — ١٨٣٢م بيروت ، ١٩٤٠ .

اسماعيل ياغى ومحمود شاكر : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر ٨٩٧ — ١٤٠٠هـ .

اميل البستانى : زحف العروبة — ترجمة عبد اللطيف ابو شرارة — بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٦١م .

امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٣٥م .

بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين — ترجمة نور الدين حاطوم — بيروت ، دار الفكر الحديث ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

جورج انطونيوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابى — دمشق مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية فى العهدين العربى الفيصلى والانتداب الفرنسى ١٩١٥ — ١٩٤٦م بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢م .

حنا ابى راشيد : جبل الدروز ، القاهرة ، مكتبة زيدان ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٥ .

خيريـــة قاســـمية : الحكومـــة العربيـــة فى دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراســـات والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

ذوقـــان قرقوط : المشرق العربى فى مواجهة الاستعمار — قراءة فى تاريخ سوريا المعاصر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامـــة للكتاب ، ١٩٧٧ .

زاهيـــة قـــدورة : تاريخ العـــرب الحـــديث ، بيروت ، دار النهضـــة العربية ، ١٩٧٥م .

شـــاكر الدبـــس : الدول العربية فى منظمة الأمم المتحدة ، دمشـــق دار الانشاء ، ١٩٤٨م .

صـــلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ، القاهرة ، الانجـــلو المصريـــة ١٩٧٩م .

عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، القاهرة ، النهضة المصريـــة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥١م .

عز الدين اسماعيل وآخـــرون : ساطع الحصرى حجـــة الفـــكر القومى المعاصر ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٥م .

عمـــر الديـــراوى : الحـــرب العالمية الأولى ، بيروت ، دار العلم للملايين الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ .

عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ — ١٩٢٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

عمر أبـــو النصر : سورية ولبنان حتى أوائل القـــرن التاســـع عشر ، بيروت ، ١٩٢٧ .

كارل بروكلمـــان : تاريخ الشعوب الاسلامية — ترجمة أمـــين فـــارس ومنير البعلبكى — بـــيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٩م .

لوكا زهـــير زويـــر : المـــانيا الهتلرية والمشرق العربى — ترجمـــة أحمد عبد الرحيـــم مصطفى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١م .

محمد بن ايـــاس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، حـ ٣ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١٢هـ .

محمـــد بديـــع شريف وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربيـــة الحديثة ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، د.ت .

محمـــد ســـعيد اطلس : تاريخ العرب ، جـ ٣ ، بيروت ، دار الأندلس .

محمد فـــؤاد شبـــكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٢م .

محمـــد كـــرد عـــلى : خطط الشـــام جـ ٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

محمود صـــالح منسى : حركة اليقظة العربية فى المشرق الآسيوى ، القاهرة دار الفكر العربى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

وليم لانجـــر : موسوعـــة تاريخ العالم ـــ ترجمـــة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٧١م .

ثالثا : المصادر والمراجع الأجنبيـــة :

1 — Antonius, G. : The Arab Awakening 1938 .

2 — Wavell : Allenby, a study in Greatness, 1940 .

رابعا : الدوريـــات :

السياســـة الدوليـــة : يناير ١٩٧٦ .

المقتطف : يونيو ـــ ديســـمبر ١٩٣٨ .